الكتب

شعراء مصر وبيئاتهم

فى الجيل الماضى

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

أحوج ما يحتاج إليه أدبنا سواء فى ذلك قديمه وحديثه ، معرفة مكانة الأدباء والشعراء ، لا من حيث البلاغة والفحولة والمعانى الشعرية فى ذاتها فحسب ، بل من حيث الخاصية النفسية لكل منهم ونوع مزاجه ووشائجه الانسانية ونظرته إلى الطبيعة وفلسفته فى الحياة إن كانت له نظرة وفلسفة

وقد تناول الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى كتابه الأخير شعراء الجيل الماضى يتخللهم بلحظه الناقد وطبعه القويم ، فاذا الرعيل المحشود فى صعيد واحد تتبين له ألوان وشيات مهما خفيت وتقاربت ، وتتميز له ملامح وسمات مهما خفيت وتشابهت ، وإذا بكل شاعر من شعراء ذلك الجيل مبيت فى حيزه ، وكل أمر من أموره مقرر فى نصابه . وقد انتظم الكتاب بين دفتيه الساعاتى وعبدالله فكرى وعبدالله نديم وعلى الليثى ومحمد عثمان جلال ومحمود سامى البارودى وعائشة التيمورية وحفنى ناصف واسماعيل صبرى والسيد توفيق البكرى ومحمد عبدالمطلب وحافظ ابراهيم وشوقى ثم كلمة ختام عن مدارس الشعر بعد شوقى

والأستاذ العقاد فى كلامه عن هؤلاء لا يرسل القول إرسالا ، بل يدعمه كعادته بما أحاط به تحصيله الواسع وأدركه تفكيره العميق من بحوث عالية فى رسالة الأدب للحياة وموازينه الصحيحة والفروق الفاصلة بين شعر الصنعة وشعر الطبع وبين الذوق الخاص والذوق العام ، فالذوق ذوقان : فأما الشائع منهما فهو الذوق الذى يتملى الجمال ويستحسنه حين يراه معروضا عليه . وأما النادر منها فهو الذوق الذى يبدع الجمال ويضفيه على الأشياء ولا يكون قصاراه أن يتملاه حيث يلقاه أو يساق إليه .

فالذين يحبون محاسن الطبيعة كثيرون يحسبون بعشرات الألوف وكل من يخرجون إلى الرياض ويجلسون على الجداول ويسهرون فى القمراء ويستمعون إلى شدو العصافير ويتغنون منازه الأرض فى المواسم وأيام البطالة — هم محبون للطبيعة يشغفون بها كما يشغفون بالفرجة والاسترواح . وقد يشبههم فى هذا بعض الأحياء التى تغرد على الشجر كلما آن الأوان أو تأوى إلى الظلال والأمواه كلما حنت إلى الراحة وبرد الهواء .

ولكن هذا هو الذوق الشائع كما قلنا ، وليس هذا هو الذوق الخالق المحيى الذى يضيف من عنده شيئاً إلى شعور الناس بما يراه ويصفه ويحكيه

إنما صاحب الذوق الخالق المحيى هو الذى ينقل إليك إحساسه بالشىء القديم الموجود بين جميع الناس ، فاذا بك كأنك تحسه أول مرة لما أودعه فيه من شعور وما أضفاه عليه من طرافة . فاذا وصف البحر أو السماء أو الصحراء أو الروضة فكأنما هو يجعلها بحره وسماءه وصحراءه وروضته لفرط ما مزج بينها وبين مزاجه وشعوره . وتسرى إلى القارىء هذه الجدة فيرى هذه المناظر بعين غير التى كان يرى بها مألوفاته

ومن ذاك المعين الفياض نبع وصف الأقدمين للطبيعة ومحاسنها ومخاوفها فتمثلوها — لفرط شعورهم بها — عرائس وحوراً وأطيافاً وأرواحاً وبعثوها جنة وشياطين وأغوالا . لأنهم عاشوا فيها وعاشت فيهم فزجوها بدمائهم ولم ينظروا إلى الطبيعة كأنهم ينظرون إلى « سجادة » منسقة الخيوط مزبرقة الألوان مريحة لمن يمشى فوقها أو ينام عليها كما يستريح العديد الأكبر من رواد الرياضة فى منازه الخلاء

فالرياض — عند الشاعر من هؤلاء — والخمائل والجداول والأنهار والسموات هى بعينها رياض زوار « المواسم والآحاد » وخمائلهم وجداولهم وأنهارهم وسمواتهم لا تزيد ولا تنقص . . . . وإن بيتاً واحداً كبيت البحترى الذى قاله فى الربيع :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما

ليساوى كل ما نظم شاعرهم فى ربيعياته وريحانياته : لأن الطلاقة والاختيال والبشاشة والحسن الذى يهم بالكلام هى علامات الربيع المبثوث فى النفوس . وكل كلمة من هذه الكلمات تدل على النفس الحية التى تشاهد الربيع أكثر من دلالتها على الربيع الظاهر فيما يبدو للعيان أو على « السجادة » المزخرفة بالاصباغ والنقوش والدوائر

والخطوط . . . ولو لم يكن البحترى قد أحس بشاشة الطلاقة وزهو الاختيال وفرح الحياة النامية ونجوى الحسن المتكلم حين شهد ربيعه لما كان لزاما أن يذكر هذه الكلمات ويجمع بين هذه الصفات . ولكانت له مندوحة عنها بوصف الأحمر أو الأخضر يبحث له عن أحمر أو أخضر مثله فى محفوظات المشبهين ، وبوصف العطر يطاق حوله الند والبخور ، وكلة من هنا وكلة من هناك عن الخدود والعيون والوجد والهيام على نحو مايفعل شعراء الصنعة

وشعر الصنعة ليس على نهج واحد كله . فمنه ماهو زيف فارغ لايمت إلى الطبيعة بواشجة ولا صلة . وليس فيه إلا لفظ ملفق وتقليد براء من الحس والذوق والبراعة . ومنه ماهو قريب إلى الطبيعة ولكنه ـ كما قدمنا ـ منقول من القسط الشائع بين الناس . فليس فيه دليل على شخصية القائل ولا على طبعه ولا تتبين فيه لمحة من الملامح ولا قسمة من القسمات التى يتميز بها إنسان بين سائر الناس

وليس هذا بشعر النفس الممتازة ولا بشعر النفس « الخاصة » إن أردنا أن نضيق معنى الامتياز . وليس هو من أجل ذلك بالشعر الذى هو رسالة حياة ونموذج من نماذج الطبيعة . وإنما ذلك ضرب من المصنوعات غلا أو رخص على هذا التسويم

والفرق بينه وبين شعر « الشخصية » أن الشخصية تعطيك الطبيعة كما تحسها هى ، لا كما تنقلها بالمجاورة والسماع من أفواه الآخرين . فهذه هى الطبيعة وعليها زيادة جديدة مطلوبة أبدا ، لأن الحياة والفن على حد سواء موكلان بطلب « الفرد » الجديد أو النموذج الحادث ، أو موكلان بطلب « الخصوص » والامتياز لتعميمه وتثبيته والوصول منه إلى خصوص بعد خصوص وامتياز بعد امتياز

وأقرب ما يمثل به لذلك زارع يستنبت صنوف الثمار لينتى منها « المميز » فى صفة من الصفات المطلوبة . فاذا عثر بالثمرة الواحدة التى وصل فيها إلى غرضه قومها وحدها بعشرات الأفدنة من الثمرات الشائعة عند غيره ، لأنه بهذه الثمرة الواحدة ليستأثر بالطلب والاقبال ويعفى على ثمرات الشيوع والعموم

وهكذا الشخصية الممتازة فى عالم الشعر أو فى عالم الحياة عامة : هى عندنا وعند الحياة التى أنشأتها أقوم من جميع المتشابهات الشائعات وإن كن جميعا مطبوعات غير مقلدات ولا زائفات

وإنما يستحق الشعر أن يسمع ويحفظ حين يكون كهذا الشعر ـ وقد أورد الأستاذ أروع الأمثال عليه ـ الذى يرينا مافى الدنيا وما فى نفس إنسان ، ونعرف فيه الطبيعة على لون صادق ولكنه أيضا لون بديع فريد لأنه لون القائل دون سواه ، فتجتمع لنا غبطة المعرفة من طرفيها ، ويتسع أمامنا أفق الفهم وأفق الشعور ، إذ يتكرر الشعور الواحد باختلاف الشعراء كأنه مائة شعور ، ويتكرر فهم الحقيقة الواحدة كأنها مائة حقيقة ، وتلك هى الوفرة التى تتضاعف بها ثروة الحياة ، ونصيب الأحياء منها »

وفى هذه الصفحات التى أدمجناها ما يجعل الاضافة والتعقيب فضولا منا . وإن القارىء بعد هذا الذى قدمناه لاشك مؤثر أن يخلو بالكتاب ونفسه

« ص »

أحـــــلام الصبا

للأديب إدوار حنا سعد

١٣٠ صفحة من القطع المتوسط

طبع بمطبعة مصر بالأسكندرية

قليل من أدباء الشباب فى مصر من يجمع فن القصة إلى جانب الشعر ، فالأديب الناشىء فى طور التثقيف عادة إما أن يقتصر على قرض الشعر ويتجه إليه بكليته حتى يجعله يطغى على غيره من فنون الأدب ، وإما أن يقتصر على القصة فتملك عليه زمامه وتشغله عما عداها من أغراض الأدب الأخرى ، وإما أن يجمع بين الاثنين فيغلب أحدهما على الآخر ويطغى عليه

وبين يدى الآن مجموعة من الشعر والقصص أهداها إلى صديق أديب جمعها فى كتاب أسماه « أحلام الصبا » . وقد قدم الأستاذ نجرى أبو السعود للكتاب بمقدمة قصيرة ، تناول فيها شخصية المؤلف ببعض التحليل ثم تكلم عن القصص وتحدث عن استقلال الكاتب فى موضوعاته ومتانة صياغته للقصة ، وربط أجزائها وحسن نسجها . وختم الأستاذ مقدمته بالكلام عن الشعر مستدلا ببعض بيوت المؤلف فى معرض حديثه

ننتقل بعد ذلك إلى قسم القصص فى الكتاب . . . فنرى أن قصص المؤلف وإن كانت تدور حول موضوعات مطروقة من قبل إلا أنها حسنة السبك متينة الصياغة ، تسيغ عليها البساطة روعة الحقيقة . وأذكر منها هنا قصة « أحلام الصبا » وقصة « رقصة شيطان »

وأما الشعر فهو يشغل النصف الثانى من الكتاب ، وللمؤلف نزعة شعرية وطابع خاص فهو يميل إلى الشعر الغنائى ، ولذا كثيرا ما نراه يختار لذلك البحور القصيرة ، وهو لا يهتم بجانب المعنى